صورة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة (عرش معشّق) لـ (ربيعة جلطي) نموذجاً (117-128)

د. رفيقة سماحي [1]

[1]المدرسة العليا للأساتذة ببشار/ الجزائر،

The Image of Women in the Contemporary Algerian Novel (The Throne of Lovers) by (Rabia Djelti) as a model

[1]Smahi Rafika

[1] Normal School of Béchar (Algeria), rafika@ens-bechar.dz;

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن مكانة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة، بوصفها اللبنة الأساسية للمجتمع برفقة الرجل، لكن سرعان ما تكتنف هذه الصورة العتمة والضبابية، فتشقى المرأة وتعنّف في مجتمع لا يرحم، وقد جاءت رواية (عرش مُعشّق) لـ (ربيعة جلطي) لتصوّر حياة البطلة (نجود-زليخا) ومعاناتها النفسية وظروفها القاسية؛ فهي سيئة الطالع كونها ولدت إبان العشرية السوداء فقدت والديها، لتجد نفسها في حضن خالتها التي كانت تعاني من العقم، إضافة إلى ملامحها القبيحة وشكلها المنفّر، فكانت منطوية تشعر بالعزلة واللاانتماء إلى مجتمع تبهره المظاهر، وذكرت الروائية إلى جانب الشخصية البطلة شخصيات نسوية عديدة مثل (خالة البطلة، نجود (أخت البطلة)، مهدية، المجاهدة نورة، حليمة،....)، وغيرها من الشخصيات التي عكست أوضاع اجتماعية معيّنة.

قامت هذه الرواية بتعرية الواقع الذي يعكس رسوخ العقلية الذكورية ويرى أن إنجاب الأنثى مدعاة للشؤم لذا زاوجت الروائية بين الأدب والفلسفة، بأبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية وفنية، محاولة إثبات مكانة المرأة ودورها في الحياة.

كلمات مفتاحية: المرأة؛ المكانة؛ الصورة؛ الرواية؛ عرش معشّق.

Abstract:

This research paper aims to reveal the position of women in the contemporary Algerian novel, as the basic building block of society accompanied by men. To depict the life of the heroine (Nujoud-Zleikha), her psychological suffering, she lost her parents, to find herself in the arms of her aunt, who was suffering from barrenness. In addition to her ugly features and repulsive form, and the novelist mentioned many feminist personalities, such as (the heroine's aunt, Nujood (the heroine's sister), Mahdia, the fighter Noura, Halima, the midwife, Soso..) , and other personalities that reflected certain social conditions.

This novel exposed reality, which reflects the consolidation of the male mentality and considers that the birth of a female is a cause for bad luck, , with social, political, cultural and artistic dimensions, trying to prove the status and role of women in life.

Keywords: Woman ; Status; Image; Novel; entwined throne.

مقدّمة:

تعتمد الكتابة الروائيّة الجزائريّة المعاصرة على إجراءات التّجريب فهي تنظّم تجارب حيّة عن الذات المبدعة بعنصر خيالي، وقد حظيت باهتمام كبير من قبل الباحثين، ولاسيما الرواية النسوية التي تميزت بالحديث عن الأنثى ومعاناتها بلغة مبدعة جديدة تحمل أبعادا إيحائية ورامزة، متحررة من قيود الواقع والتصريح المباشر.

ومن الروائيات الجزائريات اللاتي اعتنين بالمرأة في إنتاجاتهن الإبداعية (فضيلة الفاروق، ياسمينة صالح، زهور ونيسي، ربيعة جلطي) والتي هي نموذج لهذا البحث.

انطوت الدراسة على إشكالية طرح موضوع المرأة والحديث عنها في الرواية الجزائرية المعاصرة ولا سيما في رواية (عرش معشق) ومعاناتها في مجتمع مولع بالمظاهر، وتفرعت عنها إشكاليات عديدة منها: بم تميزت الكتابة الروائية المعاصرة؟ كيف جاءت صورة المرأة في رواية ربيعة جلطي كيف تأسست قراءة المرأة الجزائرية من منظور (ربيعة جلطي)؟ لماذا المرأة في رواية (عرش معشق)؟ وفيم تمثلت خصوصية الكتابة الروائية الجلطية؟

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة الموضوع الذي يقوم بوصف الظاهرة وتحليلها، حيث أهدف من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن صورة المرأة في رواية (عرش معشق) لربيعة جلطي، وتبيين مكانة المرأة ونظرة المجتمع لها في فترة من الفترات، لايجاد حلول ناجعة لنظرة المجتمع التقزيمية للمرأة.

قسمت هذه الورقة البحثية على النحو الآتي:

مقدّمة.

1. ربيعة جلطي في سطور.
2. الرواية الجزائرية المعاصرة (المفهوم، والملامح).
3. صورة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة.
4. لمحة عن رواية (عرش معشق) لربيعة جلطي.
5. صورة المرأة في رواية (عرش معشّق) لربيعة جلطي.

خاتمة البحث ونتائجه.

ومن بين الدراسات التي تقاطعت وموضوع بحثنا نذكر:

- ليلى زيرق، ربيعة جلطي في رواية "الذروة" تنبؤ إلى ما يحدث في العالم العربي هذه الأيام .
- مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، بسكرة، ط2، 2009.

ومن أهم النتائج المتوصل إليها:

- إن رواية (عرش معشق) تحكي واقع المرأة المعذبة تحت وطأة مجتمع لا يؤمن إلا بالمظاهر وجمال الجسد والكمال.

- أرادت الروائية عبر هذه الرواية أن توجه رسالة عتاب لمجتمع احتقر المرأة واستأصل هدفها وحلمها ومستقبلها.
- اعتمدت الروائية على سبيل المراوغة في كتابتها الروائية على البوح بما يعتري المرأة إن أحست بالنقص بلغة مراوغة طوعية.

أولا: ربيعة جلطي في سطور:

هي أديبة وشاعرة وأكاديمية من الجزائر، من مواليد 1964، حاصلة على دكتوراه الدولة في الأدب المغربي تحت عنوان (الأرض في رواية المغرب العربي)، تملكها حس الرواية وتملك حس الشعر وأدوات اللغة فكتبت بالعربية وحجزت لاسمها مكانا مع المبدعين.

ربيعة جلطي امرأة تحدت الحزن واليتم بالإبداع، فقدت حنان أمها منذ الصغر فعوضها أبوها بما فقدت، بحثت عن دفء يعوضها ما فقدت، فعقدت صداقة مع الكتاب ولم يفارقها، قال عنها الشاعر السوري نزار قباني: إنها شاعرة.

تمتاز كتاباتها بالدقة والرقة، والإيحاءات والمراوغة تحدثت عن غربة الشاعر وغربة الوطن وهموم الإنسان الذي لا يجيد البوح بهمومه.كتبت الشعر والرواية، من إبداعاتها: (تضاريس في وجه غير باريسي سنة 1981 عن دار الكرمل)، (التهمة سنة 1984)، (شجر الكلام 1991 عن دار السفير المغربية)، (كيف الحال 1996 عن دار حوران سوريا)، (حديث السر 2002 دار الغرب الجزائر)، (من التي في المرآة 2004 عن دار النماية سوريا)، (حجر حائر 2004 عن دار النهضة)، (بحار ليست تنام 2008 عن دار النماية) و (رواية الذروة التي فازت كأفضل رواية جزائرية لعام 2010 في مسابقة نظمها النادي الأدبي الجزائري عبر الأنترنت، (عرش معشق، دار الاختلاف، الجزائر، 2013)، (حنين بالنعناع، دار الاختلاف، الجزائر، 2015)، (عازب حي المرجان، دار الاختلاف، الجزائر،2016)، (قوارير شارع جميلة بوحيرد، دار ضفاف، بيروت، 2018)، (قلب الملاك الآلي، دار الاختلاف، الجزائر، 2019)، (جلجامش والراقصة، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، 2021)[1].

ثانيا: الرواية الجزائرية المعاصرة (المفهوم، والملامح):

الرواية لغة:

"قال ابن سيده في معتل الياء: رَوِيَ من الماء، بالكسر، ومن اللَّبَن يَرْوَى رَيّاً ورِوىً أَيضاً مثل رِضاً وتَرَوَّى وارْتَوَى كله بمعنى، والاسم الرِّيُّ أَيضاً، وقد أَرْواني.

وراوِيةٌ كذلك إِذا كثرت روايتُه، والهاء للمبالغة في صفته بالرِّواية. ويقال: روَّى فلان فلاناً شعراً إِذا رواه له حتى حَفِظه للرِّواية عنه.

قال الجوهري: رَوَيْتُ الحديث والشِّعر رِواية فأَنا راوٍ، في الماء والشِّعر، من قوم رُواة. ورَوَّيْتُه الشِّعر تَرْوِيةً أَي حملته على رِوايتِه، وأَرْوَيْتُه أَيضاً. وتقول: أَنشد القصيدةَ يا هذا، ولا تقل ارْوِها إِلا أَن تأْمره بروايتها أَي باستظهارها"[2].

حملت الرواية لغويا معان ودلالات منها: نقل الأخبار سقي الماء..

اصطلاحا:

تعدّدت تعريفات الرواية لتعدد اتجاهاتها وأساليبها واختلافها عبر العصور.

يرى (ميخائيل باختين) أن الرواية هي فن نثري تخيلي طويل –نسبيا– يعكس عالما من الأحداث والمغامرات المثيرة والغامضة[3]، فهي انعكاس للواقع الإنساني.

ويرى (محمد غنيمي هلال) أن الرواية "هي قصة كالحياة معقدة متعددة الجوانب ممتدة حية المعالم...وهي بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معنى"[4].

أما (واسيني الأعرج) فيربط الرواية بالماضي والحاضر والمستقبل يقول: "الرواية فن المستقبل الذي بإمكانه أن يلقي القبض على اللحظة التاريخية بكل أبعادها في لحظة توترها وعنفوانها"[5]، إن ربط الرواية باللحظة التاريخية يعطيها نظرة استشرافية تطلعية للمستقبل الذي يبنيها من خلال العودة إلى تاريخها وماضيها.

وكما هو معلوم فإن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية تأخرت في الظهور عن نظيرتها المكتوبة باللغة الفرنسية لعدة أسباب ودواع، كما قال (مصطفى فاسي): "إن الرواية الجزائرية حديثة العهد بالظهور المكتوبة منها باللغة العربية أكثرها حداثة، إلا أننا نستطيع القول أنها منذ ظهورها الأول قد اقتحمت الساحة لأدبية بشكل قوي.."[6].

عرفت الرواية المعاصرة في الجزائر تجارب روائية عديدة وتميزت برؤى جديدة صاغتها الذات المبدعة التي شهدت تحولات وتغيرات، فهي تثور على الرواية التقليدية من خلال قواعدها وتتنكر لكل الأصول وترفض كل القيم والجماليات التي كانت سائدة في كتابة الرواية التي أصبحت توصف بالتقليدية[7]. كما أنها "ترفض الشكل التقليدي، الذي يهدف إلى إعادة التوازن في الحياة. لا يعني هذا أن هذه الأعمال ترفض الشكل التمثيلي كلية. فهي على أي حال لا تستطيع الفكاك من هذا الواقع الذي تنبع منه أصلا ولكنها إذ ترتبط به على نحو ما تمليه القدرة على أن يكون انعكاسا للحياة، في الوقت الذي تؤكد فيه إمكانات النص بوصفه نتاجا للفكر ومولدا له، إنها تعتمد إرخاء العلاقة التقليدية بين الشكل والواقع وعندئذ تبدو الهوة –لأول وهلة– عميقة بين النص الروائي والحياة بل إن المسافة قد تكون في بعض الأحيان من الاتساع بحيث يصعب على القارئ العادي اجتيازها"[8].

ثالثا: صورة المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة:

شهدت المرأة إذلالا في العصر الجاهلي فأتى الإسلام وحرّرها وحرّم وأدها، جاء العصر المعاصر ليعيد التاريخ نفسه، لكن هذه المرة لم يتم وأدها جسديا بل معنويا فأصبحت تدان وتكسر وتقهر سواء من والديها أم من المجتمع أم من الرجل، لذلك تشكلت جمعيات وحركات نسوية ومؤتمرات تدافع عن المرأة وتطالب بحقوقها ومساواتها مع الرجل في مختلف الميادين، ومن هذا المنطلق تم "عقد المؤتمر الأول للنساء في بيروت(1919)م والمؤتمر الثاني سنة (1922)م"[9]، كما ظهرت إنتاجات أدبية –سواء شعرية أم نثرية– تندّد بالظلم المسلط على المرأة، واعتنت الكتابات النسوية الجزائرية بقضايا المرأة الجزائرية في فترة ما بعد الاستقلال، كما برزت شخصيات جزائرية وقفت إلى جانب المرأة ودافعت عنها بالقلم وأزاحت اللثام عن فترة العبودية والاستغلال، وعن مشاكل ما بعد الاستقلال وعن فترة التسعينيات، ومن بين تلك

الشخصيات: (زهور ونيسي)، و(زينب الأعوج)، (أحلام مستغانمي)، (ياسمينة صالح)، (جميلة زنير)، (فاطمة العقون)، (جميلة طلباوي)، (ربيعة جلطي) فصوّرت المرأة الأم، والحبيبة، الوطن، والمغتصبة، والمستغلة المستسلمة، وغيرها من الصور التي حفلت بها الإنتاجات الإبداعية، فالمرأة لغز ورمز يحمل دلالات عديدة، وقد صنف الباحث (صالح مفقودة) المرأة عند حديثه عن قضايا الحب والزواج إلى: الفتاة إلى سن البلوغ، صورة العشيقة، صورة الخطيبة، صورة الزوجة[10]. ومن بين الخطابات الإبداعية التي تحدّثت عن المرأة وصوّرتها بصور متعددة أعمال (ربيعة جلطي) التي هي محل دراستنا في هذا البحث. فكيف نظرت الروائية إلى المرأة عبر شخصياتها؟ وهل عبرت تلك الشخصيات عن النساء الجزائريات في الواقع المعيش أم أنها مجرد خيال عابر؟

رابعا: لمحة عن رواية (عرش معشق) لربيعة جلطي:

تتحدث الرواية عن البطلة "نجود" هذا الاسم الذي اختاره لها جدها، و"زليخا" الاسم الذي اختارته هي بنفسها. ولدت في "زمن الإرهاب الأعمى"، والعشرية السوداء ماتت أمها واغتيل أبوها فكانت لعنة اللعنات، ولدت في ظروف سيئة، "اغتيل أبي الذي كان شرطيا شابا آنئذ، وحين فتحت عيني لم أجده"[11]، تسرد الروائية الفصل الأول على لسان جنين ينقذف من أحشاء أمه إلى الحياة، ليعلن أن الخروج إلى هذه الدنيا هو "أول اعتداء عليك وأول تطويع وأول كبح وأول ترويض. أول تنبيه لك أنك لست مليك أمرك، وتحذير لك لتعلم أن الأشياء غالباً ما تأتي عكس هواك، وأنك مجبر على الطأطأة والرضا والتقبل"[12].

حتى أن القابلة تفاجأت لما رأتها بنتا وكأن الحياة للذكور فقط ! فهي منذ ولادتها همشت واحتقرت، لتكبر بعد ذلك فتكتشف قبحها وبعد دخولها المدرسة ينفر منها زملاؤها، وتشتكي من تصرفات معلميها "فقد كان المدرس منهم يصر على أن تجلس في آخر صف من صفوف القسم متعذرا بشدة طولها وسنها... ثم لم تفلح نجود في أن تتأقلم مع التلاميذ"[13].

تطرح الروائية مفهومها عن الجمال والقبح، فبطلتها تعيش التشوه واليأس، في مجتمع لا يؤمن بالوعي والعقل والذكاء بل بالمظاهر الخارجية، تحاول "نجود" التحرر من سلبياتها فترمي اسمها القديم الذي ورثته عن أختها المتوفاة قبل قدومها بخمس سنوات، وتعيد تسمية نفسها بـ"زليخا" لتبدأ حياة جديدة مليئة بالحب وإثبات الذات فتغرم بجارها الشاب الوسيم الجامعي "عبدقا" اختصارا لـ (عبد القادر) تغرم به ويبادلها الشعور ذاته، وبعد وفاة جدته تنتهز فرصة وحدته وترتاد منزله، وتشتد علاقتها به.

تعالج الروائية كذلك فكرة التعايش المشترك بين الأديان في المجتمع الواحد الذي بدأ ينحو إلى التعصب والتطرف، لتؤكد على ضرورة هذا التعايش وأهميته. فترمز إلى تلك الفكرة بهيكل من الزجاج المعشق، يوجد في بيت الخالة التي تبنت "نجود" بعد ولادتها. هذا الهيكل ورثه زوج الخالة "بوعلام" من أمه، واختلفت الحكايات حوله، لكن جميع الحكايات أكدت على أن الزجاجات التي صُنع منها قد تم انتقاؤها ببالغ الدقة والعناية من أماكن مقدسة وعالية القيمة الروحية والتاريخية، فبعضها أخذت من نوافذ أعرق المساجد وبعضها الآخر من شبابيك الكاتدرائيات والكنائس، وكل ذلك للدلالة على الصلح النهائي والتعايش الدائم[14].

ما بين المخاض الأول الذي تبدأ به الرواية، والمخاض الأخير الذي تنتهي إليه، تشير الروائية إلى أحداث مهمة في تاريخ الجزائر الحديث، من خلال مسار حياة شخصيات الرواية. "زليخا" تولد في "زمن الوجع الجماعي لبلاد غارقة في حرب وإرهاب"، يُغتال أبوها الشرطيّ الشاب ليلة ولادتها، وفي بيت الخالة ستكبر على حكايات المقاومة الشعبية التي يسردها "بو علام" عن أمه المجاهدة "نورة". ومن خلاله سنقرأ عن الانقلابات والثورات التي انتهى مخاضها عن ولادة جزائر جديدة متعددة[15].

خامسا: صورة المرأة في رواية (عرش معشق):

صوّرت الروائية بطلة الرواية بصورة **المغتربة المهمّشة** كونها غير راضية بجمالها وجسدها الذي شكّل لها عقدة البعد والهجر، حيث مثلت الأوضاع التي أحاطت بالشخصية البطلة دافعا لتشاؤمها وقلقها كونها ولدت زمن العشرية السوداء ففقدت أباها الشرطي الذي قتل وأمها ولم يبق لها أحد سوى خالتها العقيم التي ربتها، فالعشرية السوداء فترة حرجة في تاريخ الجزائر ذاقت فيها المرأة ألوان العذاب من تحقير وتهميش واغتصاب وتنكيل، فهي زمن الأوجاع والأسى، "اكتشفت أن لا اسم لي ولا أملك شهادة ميلاد، أو بطاقة شخصية كلّما أعرفه أنني ولدت زمن الإرهاب الأعمى، كان الموت خلال عشريته السوداء يخيّم على كلّ شيء فلا يستثني أحدا"[16].

ويعد اغتراب الجسد عاهة لازمت البطلة (نجود/ زليخا) فهي تعاني النقص والضياع، تقول الروائية على لسان البطلة: "لماذا يحدث لي كل هذا لماذا أنا بالذات لا أرتاح مثل غيري أنا أريد أن أكبر وأنمو كمثل الأخريات قليلا لست على عجلة من أمري ولا رغبة لي في إثارة انتباه أحد"[17]، يصور لنا هذا المقطع نضج البطلة على الرغم من عدم اتزانها فالأفعال (يحدث لي، أرتاح، أنمو..) توحي بوعي المرأة بذاتها وبمن حولها ، غير أنها متذمرة مما آلت إليه "فرفض الجسد رفض للذات وللوجود البشري"[18]، فهي تخشى نظرات المجتمع لها وحديثه عنها ونظرات زوج خالتها (بوعلام) المليئة بالرفض والتذمر لقبح شكلها، فقد كان يحبها في الصغر ويرأف بحالها كونها يتيمة لكن سرعان ما تغيرت نظرته نحوها فصار يسخر منها ويستهزئ بها، لقبحها وكأن الجمال معيار القبول ووجود المرأة وإثبات ذاتها في المجتمع، أما القبح فهو العدم والانعزال واللاوجود، فتشكلت لدى البطلة حالة رفض تام لذاتها بعدما لاقت الرفض من البيئة المحيطة بها (أقرانها في المدرسة، زوج خالتها..المجتمع) كل من يراها يسخر من شكلها لذا فقد توقفت عن الدراسة وغادرتها لأن المجتمع بأفكاره السلبية سيطر عليها، فازداد رفضها لشكلها حتى أنها شبهت نفسها بعالم الحيوان وانصرفت عن عالم البشر تقول: "إن حظي في الجمال مثل حظ زرافة بأقدام جمل ورأس ضفدع وأنف فيل...، باختصار لم تهبني الطبيعة من بهائها شيئا، كلما شاهدت وجهي في المرآة أشيح عنه ثم أرجع إليه من الغريب أنني لا أعادي المرآة بل أعود إليها مرات ومرات في اليوم.."[19].

صوّرت الروائية البطلة بصور عديدة متذمّرة يائسة رافضة لواقعها ولشكل صورتها، فيتبدى توظيف الجمال ببراعة تصويرية، فالجمال ليس جمال الظاهر والشكل فقط بل هو جمال الروح والعمق والباطن وهو جوهر للحياة البسيطة بمشاعر صادقة وقوية بحب وتحدّ وشجاعة عند (زليخا)، ونستشف عبر الصور التي اختارتها الروائية لبطلتها تلك النظرة الفلسفية والنقدية العميقة التي تعلن الثنائيات والمفارقات الضدية (الجمال/القبح، اللذة/الألم، القبول/ الرفض، الانتماء/ اللاانتماء،

الحياة/ الموت...)، فعلى الرغم من عدم اقتناع البطلة بجمالها غير أنها تتحول في لحظة إلى لذة بجمال يسحر فؤاد جارها (عبدقا) تقول الروائية: "جراء هذا الحب العاصف تتحول زليخا في لمح البصر إلى فتاة مغرية جميلة وتصبح بين ذراعيه ملكة على عرش الجمال ، ويتجاوز "عبدقا" عطب النطق "التأتأة" قرب هيكل الزجاج المعشق على حافة سريره يلتقط عبدقا يد زليخة، ترتجف قليلا تنظر في عمق عينيه فترى صورتها تنتبه، إنها الوحيدة الجميلة الشهية، فتستسلم مثل حقل يفيض بالقطن وقد يبس في حضن شوكه..نسيت قبح ملامحي وبشاعة جسدي...إني أتماثل للشفاء الشفاء من الإحساس بالقبح..هو لا يراني بعين القبح وأنا أراه وسيما خالبا وأحس به جميلا وجها وجسدا وعقلا وروحا"[20]، تتحول صورة البطلة من رفضها للواقع إلى حبها وتقبلها لهذا الواقع الذي كان يرفضها ففعل الحب أنساها ألمها وحزنها وقبحها ومنحها الثقة بنفسها، عبر شخصية عبدقا الشاب الوسيم الخجول جامعي كان دائم المطالعة جار زليخا كان يسكن مع جدته، استطاع أن يستميل قلب البطلة ويمنحها الثقة والوجود ويعوضها القبح والنقص بحبه لها.

حاولت البطلة أن تقلد عارضات الأزياء بارتدائها للقفطان الوهراني الجزائري الذي يمثل الأصالة والمحافظة على العادات كما وضعت المساحيق –في غياب خالتها- لتثبت وجودها كون عارضات الأزياء وبعض النساء اللاتي يظهرن على الشاشة يخفين قبحهن بتلك المساحيق والحمرة والكحل..، تقول: "في غياب خالتي..، وضعت مسحوق التبييض على وجهي وعلى الجزء الأسفل من ذراعي ورسمت سطرين من الكحل على جفني ومسدت شعري بالمليّن وضعت قليلا من الحمرة الباهتة على أطراف أصابعي ثم مسحت بها خدي، وبقلم أحمر غامق مثير رسمته بصعوبة على حواف شفتي.."[21].

على الرغم من صورة البطلة التي انحصرت في القبح والرفض والألم ومحاولة إثبات الذات إلا أنها شعرت بالحب والوجود والجمال باعتناء خالتها بها وتعلمها أشغال المنزل وكذا لعلاقتها بـ "عبدقا" ونظراته الايجابية نحوها ومعاملته الحسنة لها، كل هذا أبعد عنها بعض الوساوس التي كادت تنخر عقلها، لينتهي بهم المطاف للهجرة-غير الشرعية- إلى الضفة الأخرى سويا.

قدّمت الروائية صورة لشخصية أخرى نسوية وهي "نجود" غير أنها لم تذكرها حية بل ميتة فالبطلة "زليخا" وقد اتخذت اسم نجود أختها الجميلة المتوفاة لتشبهها فكانت تتمثلها في زجاج معشق، وقد مثلت هذه الشخصية للبطلة الدافع والتحدي والعزيمة وفرض الذات، وبها استطاعت تقبل ذاتها بل وكانت تتخيلها عبر الزجاج ولا ترى إلا أختها فكأنها تقمصت شخصية أختها شكلا ورسما.

ثم صورت الروائية خالة البطلة نجود (حدهم) في **صورة العطوفة الحنونة الذكية الجميلة العاقر** التي ربت البطلة بعد أن فقدت أهلها تقول الروائية على لسان حدهم: "أحببت نجود، ربيتها بكل ما أوتيت من قوة وحنان..أدخلتها المدرسة فأدت نباهة ورغبة في التحصيل والتعليم وأن مديرة المدرسة أخبرتني أنها قررت أن تجعلها تتجاوز قسمين لذكائها ونباهتها وسرعة تعلمها"[22]، عبرت صورة خالة البطلة عن الحنان واحتواء بنت الأخت وحثها على التعليم كون الخالة تقطن بوهران هذه المدينة الجزائرية الجميلة التي دفعتها لحب الحياة والجمال، فتميزت هذه الشخصية كونها مثقفة بالذكاء

والنباهة والجمال أسرت فؤاد زوجها بوعلام في الماضي فتقدم لخطبتها تقول: "كان بيتنا مليئا بالجمال وأيّ جمال، كل واحدة من أخواتي أجمل من الأخرى...لعل هذا مالم يترك لبا سليما حين شاهدني يوما أعبر الشارع فظلّ يسأل ثم يقترب حتى وصل إلى أبي وخطبني"[23]. رافقت حدهم البطلة شيئا فشيئا فعلمتها أشغال المنزل والخياطة والطرز وكيفية استقبال الضيوف ووضع سينية القهوة لهم..، وكانت دائمة النصح لها، عطوفة عليها كأمها الرؤوم، لأن خالتها عاقر لم تنجب أولادا لذا على الرغم من جمالها وثقافتها وذكائها غير أنها كانت ناقصة في نظر المجتمع الذي كان ينظر إليها بالدونية والاحتقار ومنهم زوجها (بوعلام) الذي قام بخيانتها وتزوج من إمرأة ثانية خفية وأنجب منها أربعة أطفال. هنا تأخذ صورة **البريئة المظلومة** التي تعرضت للخيانة والاحتيال والغدر.

ومن صور المرأة في الرواية **صورة الثورية المجاهدة** نورة والدة بوعلام زوج حدهم خالة البطلة نجود، فقد كانت تمثل هذه الشخصية الماضي المجيد، ماضي الثورة والانتصار على العدو الفرنسي تحلت بالشجاعة والتضحية وحب الوطن والدفاع عن الأرض وإثبات الانتماء والهوية والعرق والوجود ضحت بكل ما تملك تعليمها دراستها ثقافتها ..مقابل أن تساعد المجاهدين الثوار في الجبل فكانت ممارضة تداوي الجرحى والمعطوبين فأثبتت وجودها وفرضت مكانة المرأة التي لطالما همشت تقول الروائية: "صالت نورة وجالت بعد أن بدأت مهماتها بسيطة بتمريض الجرحى من المجاهدين والاعتناء بهم حتى يستطيعوا العودة إلى الجبهة في معاركهم ضد الاحتلال الفرنسي"[(24)].

ومن الشخصيات النسوية (مهدية) صديقة البطلة كانت تمتاز بالجمال والحسن فهي **صورة الجميلة الحسناء الحزينة** التي تتعرض لخيبات أمل واصطدام عاطفي ومشاكل نفسية على الرغم من جمالها الظاهر الذي قد يأسر أي شخص يراها، تقول عنها صديقتها نجود: "المعضلة أن مهدية جميلة جدا بل فاتنة وملامحها المتناغمة تدخل السرور في النفس، وجسدها الأنثوي المتناسق يدعو كل ذكر قد يمر بالصدفة على بعد أمتار عديدة فيربك، ويجذب انتباهه وربما شبقه"[(25)].

صوّرت الروائية شخصية أخرى تدعى (حليمة) وهي خادمة نورة والدة بوعلام بصورة المرأة **المطيعة الخجولة** التي تخدم المنزل دون كلل أو ملل، فهي من أم جزائرية وأب فرنسي، هي من تبقى للبطلة بعد أن ابتعد عنها الجميع كانت معاملتها لها حسنة وعلاقتها بها جيدة.

تنتقل الروائية لتجسد صورة المنحرفة النرجسية السادية في شخصية (مليكة لايسران) التي كانت راقصة بملهى ليلي والتي استدرجت (عبدقا) الشاب الخلوق لتشبع رغباتها فوقع في شراك اللامحظور بعدها ازداد تعلقه بالبطلة (نجود) كونها تمثل الحياء والعفة والشرف، في حين أن الراقصة تمثل شرخ القيم والعار والانحراف والفساد.

يمكن القول إن رواية (عرش معشق) حملت معان عديدة وضمت صورا متنوعة للمرأة الجزائرية التي تعاني التهميش والاحتقار؛ ولا غرابة في احتقار المرأة وإذلالها في مجتمعنا الحالي إذ أنها كانت تهان منذ العصر الجاهلي فكرّمها الإسلام، وأعلى شأنها، ولكن لبعد المجتمعات عن تعاليم الإسلام رجعوا إلى جاهليتهم الأولى، وهذا التهميش لم يمس نساء العرب فقط. بل نساء العالم..، ففي منظور الإغريق قديما "يرى أرسطو أن النساء مستبعدات تماما من مجالات

الحياة العامة"[26]، فالمرأة ليست سوى ذكر عقيم، كائن ناقص، أما حضورها في جمهورية (أفلاطون) فهو مرتبط بالأعمال الوضيعة[27].

صورت الروائية البطلة في الصفحات الأخيرة من الرواية الهجرة غير الشرعية في زورق مع حبيبها (عبدقا) وذكرت الروائية اهتمام بعض الشباب الجزائري بالهجرة بدافع البطالة ولنيل حياة كريمة على الجانب الآخر، فالذات أو الأنا تمثل المعاناة والقبح والأسى والقلق، والآخر في نظرهم يمثل السعادة والجمال والراحة والغنى والرفاهية، وهذا التفكير يكاد أن يكون مشتركا لدى الشباب الجزائري وهذا ما جال في خاطري (نجود وعبدقا)، تقول: "ليس هذا ما يعكر صفوي ولكن ما يشغلني ويقضّ مضجعي هو شعور عبدقا بالضيق وهو يفكر في مستقبله المهني"[28].

حرمت البطلة من نعمة الجمال غير أنها عوضته بنعمة الوعي والعقل ما أدى بها لإيجاد حياة خاصة تعوض نقصها وتفرض وجودها في مجتمع لا يؤمن إلا بالمظاهر، فبدأت باسمها إذ عوضت "نجود" بـ "زليخا" فتجاوزت عقدة شكلها بالحب. أعطت الروائية للبطلة بأن تصف ذاتها بصيغة المتكلم عبر المونولوج الداخلي الذي يجسد البعد النفسي القوي والمؤثر للشخصية، كما اختارت الروائية في نصها قضية الجمال الذي ينظر إليه في المجتمعات العربية كقانون صارم وشرط من شروط قبول بنات حواء[29]، وكما جاء في المثل "المرأة القبيحة تؤلم الرأس أما المرأة الجميلة فتتعب القلب"، لذا فإن المجتمع الذي أحاط بالشخصيات مجتمع الجمال والكمال لايرضى بالنقص ولايرغب بالقبح.

وعليه فإن كتابات (ربيعة جلطي) عبّرت عما تعانيه المرأة من قلق واضطراب وعدم رضا، فالروائية في جلّ رواياتها تجسد المرأة، وتصف معاناتها في الواقع مدافعة عنها بلغة رامزة مراوغة وتنوعت صور المرأة حسب الشخصيات فشخصية البطلة بصورة مهمشة قبيحة المنظر، وشخصية نورة بصورة مناضلة مجاهدة مشاركة في الثورة، وشخصية (مليكة) منحرفة نرجسية، فشخصية (حدهم) بصورة المرأة المطيعة الجميلة المهذبة المخدوعة من قبل زوجها(حدهم)، وكل هذه الشخصيات شهدت أوضاع دامية فأثرت فيها بالسلب أو الإيجاب، وخاصة البطلة التي أخذت مساحة كبيرة في صفحات الرواية وركزت الروائية الحديثة عنها، منذ ولادتها إلى أن كبرت وأحبت وهاجرت، ويمكن أن نوحي للبطلة "نجود" بالوطن "الجزائر" كونه كان مشوها في فترة العشرية ملطخا بالدماء وبالأحزان والآهات، فحاول النهوض واستعادة جماله عن طريق التضحيات والحب.

خاتمة البحث ونتائجه:

ختاما يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. تميزت الرواية الجزائرية المعاصرة باستحداث مواضيع فرضها الواقع المعيش.
2. شكّلت المرأة الجزائرية فضاء واسعا في رواية "عرش معشق" لربيعة جلطي.
3. صوّرت الروائية البطلة بصورتين: رافضة لشكلها وقبحها كونها لم تلق استحسانا من المجتمع، وراضية بقبحها الجميل الذي لفت انتباه جارها (عبدقا) وفي ظل هذا التماهي ازداد النص الروائي قوة وجمالا.

4. عكست رواية (عرش معشق) التفكير غير السليم لبعض المجتمعات الجزائرية الذي أثر في نفسية المرأة فتشكلت صورتها- كون المرأة تتأثر ببيئتها وبمحيطها- قاتمة كئيبة، تلك الصورة التي زعزعت نفسية المرأة وكسرتها، من خلال وأدها معنويا لا جسديا.
5. قامت الروائية عبر رواياتها (عرش معشق) بتعرية المجتمع الجزائري، وتحدّثت عن الواقع بنبرة حادة، وبلغة رمزية مراوغة.
6. تعتمد الروائية غالبا أسلوب المتعة والتشويق، والمفارقات الضدية (القبول/الرفض، الحب/ الكره، القبح/ الجمال ..).
7. للروائية نظرة فلسفية في الحياة وقد أسقطت ذلك على شخصياتها ففي حضن القبح تنشأ القيم الجمالية وفي عمق الجمال تنكشف قيم الشر والغدر والمكر..
8. حملت الرواية المختارة صورا عديدة للمرأة حسب كلّ شخصية ونوعها (مهمّشة، وضائعة/ مظلومة، حزينة، وبريئة/ مجاهدة وثورية/ منحرفة ونرجسية وسادية)..، وقد أدى هذا التعدد الصوري للمرأة إلى تعرية الواقع في فترة من الفترات.
9. وصفت الروائية في هذا النص نظرة المجتمع إلى المرأة: القبيحة/ أو الجميلة العقيم.. نظرة دونية واحتقار، فهو يريدها أن تكون كاملة غير ناقصة، فهو يريد إقبارها ودفنها وقيدها وهي على قيد الحياة،

ومن الاقتراحات والتوصيات:

1. الاهتمام بالأدب الجزائري المعاصر من قبل الدارسين والباحثين العرب.
2. الاهتمام بالمرأة وبم تنتج من إبداع.
3. الابتعاد عن الجاهلية الأولى في معاملة المجتمع للمرأة.
4. إيجاد حلول ناجعة عند كتابة الأدب للمشاكل التي تعتري المرأة وتصويرها بدقة.
5. توعية المجتمع باحتضانه للمرأة وتقبلها بقبحها أو جمالها فهي نصف المجتمع وتلد النصف الآخر.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، سوريا، ط1، 1997.
2. الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
3. جلطي ربيعة، عرش معشق، دار الاختلاف، الجزائر، 2013.
4. حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2007.
5. زيعور علي، التحليل النفسي للذات العربية (أنماطها السلوكية والأسطورية)، دار الطليعة، ط2، 1982.
6. كرام زهور، السرد النسائي العربي، مقاربة في المفهوم والخطاب، دار نشر المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
7. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، القاهرة، مصر، 1974.
8. مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، ط1، 2000.
9. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، بسكرة، ط2، 2009.
10. مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنية السرد، مطابع الرسالة، الكويت، د.ط، 1998.

11.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 2000، ج 20، مج 03.

12.نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية و التطبيق، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب، القاهرة، مصر، 1995.

المواقع الالكترونية:

1. زيرق ليلى، ربيعة جلطي في رواية "الذروة" تنبؤ إلى ما يحدث في العالم العربي هذه الأيام24 أيلول 2011، رابطة أدباء الشام، تاريخ التصفح: 2022/09/29 الساعة: 16:50سا الرابط:

http://www.odabasham.net/%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%AA/34076-%D9%85%D8%B9-%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D8%AC%D9%84%D8%B7%D9%8A

2. علام فايز، رواية من الجزائر...عرش معشق، الثلاثاء 31 ماي 2016، رصيف صحيفة حرة، تاريخ التصفح: 2022/09/29، الساعة: 20:14، الرابط:

https://raseef22.net/article/6228-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%B9%D8%B1%D8%B4-%D9%85%D8%B9%D8%B4%D9%91%D9%82

مايا الحاج، مجتمع ربيعة جلطي المهترئ: لا مكان فيه للقبيحات، الخميس 27 فبراير 2014، الساعة 09:13سا، عدن الغد يومية مستقلة، تاريخ التصفح: 2022/09/29، 19:04، الرابط:

https://adengad.net/posts/93972

التهميش:

[1]– ليلى زيرق، ربيعة جلطي في رواية "الذروة" تنبؤ إلى ما يحدث في العالم العربي هذه الأيام، 24 أيلول 2011رابطة أدباء الشام، تاريخ التصفح: 29/ 09/ 2022، الساعة 17:50سا، الرابط:

http://www.odabasham.net/%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%AA/34076-%D9%85%D8%B9-%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D8%AC%D9%84%D8%B7%D9%8A

[2]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 2000، ج 20، مج 03، ص: 1787.

[3]– أمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، سوريا، ط1، 1997، ص: 21.

[4]– محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، القاهرة، مصر، 1974، ص: 549.

[5]– الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 473.

[6]– مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، ط1، 2000، ص: 03.

[7]– ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنية السرد، مطابع الرسالة، الكويت، د.ط، 1998، ص: 53.

[8]– نبيلة إبراهيم، فن القص بين النظرية و التطبيق، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب، القاهرة، مصر، 1995، ص: 167-168.

[9]– مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، بسكرة، ط2، 2009، ص: 16.

[10]– ينظر: المصدر نفسه، ص: 68-143.

[11]– ربيعة جلطي، عرش معشق، دار الاختلاف، الجزائر، 2013، ص: 21.

[12]– المصدر السابق، ص: 10.

[13]– المصدر السابق، ص: 62.

[14]- فايز علام، رواية من الجزائر...عرش معشق، الثلاثاء 31 ماي 2016، رصيف صحيفة حرة، تاريخ التصفح: 2022/09/29، الساعة: 20:14، الرابط:
https://raseef22.net/article/6228-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%B9%D8%B1%D8%B4-%D9%85%D8%B9%D8%B4%D9%91%D9%82

[15]- فايز علام، المرجع السابق.

[16]- ربيعة جلطي، عرش معشق، دار الاختلاف، الجزائر، 2013، ص: 21.

[17]- المصدر السابق، ص: 41-42.

[18]- علي زيعور، التحليل النفسي للذات العربية (أنماطها السلوكية والأسطورية)، دار الطليعة، ط2، 1982، ص: 21.

[19]- ربيعة جلطي، عرش معشق، ص: 40.

[20]- المصدر السابق، ص: 175.

[21]- المصدر السابق، ص: 89.

[22]- المصدر السابق، ص: 61.

[23]- المصدر السابق، ص: 63.

[24]- المصدر السابق، ص: 132.

[25]- المصدر السابق، ص: 88.

[26]- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2007، ص: 120.

[27]- ينظر: كرام زهور، السرد النسائي العربي، مقاربة في المفهوم والخطاب، دار نشر المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص: 15.

[28]- ربيعة جلطي، عرش معشق، ص: 176.

[29]- مايا الحاج، مجتمع ربيعة جلطي المهترئ: لا مكان فيه للقبيحات، الخميس 27 فبراير 2014، الساعة 09:13سا، عدن الغد يومية مستقلة، تاريخ التصفح: 2022/09/29، 19:04، الرابط: https://adengad.net/posts/93972